

الأمثلة التي يمكن استخلاصها من قضية السفير اللبناني وتصريحاته

الكولونيل شربل بركات

ما يلفت النظر في قضية سعادة سفير لبنان السيد ريمون بعقلين هو التعنت والإصرار على الخطاء، فلا شك بأن سياسة لبنان قد أصبحت تدار من قبل ضباط سوريين، أقل ما يقال بهم أنهم لا يعرفون شيئاً عن الدبلوماسية، وجل ما يبرعون به هو مجال الاستخبارات ونقل وتحريف الكلام، ومن جهة أخرى إرهاب الناس بالتهديد والوعيد. وقد يعتقد من يمارس السياسة في لبنان اليوم أن إرضاء هؤلاء هو القاعدة التي تؤدي إلى الترقية. وقد يكون السيد بعقلين من هؤلاء الذين سئموا العمل في الخارج، وقد عرف بأن هناك احتمال لتشكيلات جديدة في وزارة الخارجية في بيروت، وأن منصبا أفضل من سفير قد يشغر قريباً ليصبح صاحبه أقرب إلى صحن الجبنة منه إذا ما بقي في كندا، لذا، وهو الدبلوماسي المخضرم، الذي لا شك يعرف ما يمكن قوله، وما لا يمكن في بلد مثل كندا، ويعرف مدى حساسية ما يقول ويتهم، فقد قال ما قال وتعتمد تضخيم الموضوع من خلال الإصرار والتصريحات المتلاحقة في غير صحيفة ليكون له أولاً ذلك "الاسم" وثانياً "البطولة" التي يجب أن يتحلى بها من يريد أن يترقى في دولة المخابرات.

فسلامنا لسعادة السفير وتمنياتنا له أن ينعم بالمنصب الجديد الذي يعمل من أجله، ولكننا نريد أن نقول له بالا يعتقد فعلاً أن هذه هي الطريقة الصحيحة لتمثيل لبنان، وألا يصدق أن كلامه عن حزب الله صحيح، وأن اتهاماته للبنانيين المسيحيين "مثله"، كما قال، هي حقيقية. فالمسيحيون، يا سعادة السفير، في كندا وفي لبنان، وحتى في ضيعتك ودخل بيتك، يفكرون تماماً مثل كل اللبنانيين المتعلقين ببلدهم، والذين لا يقبلون بأي شكل أن يصبح وجهه وجه مصدر الإرهاب، ومروج المخدرات، والمتاجر بالكرامة في سبيل المال. فكل لبناني، وأنت تعرف ذلك، شيعياً كان أم سنياً، مارونياً أم أرثوذكسياً، درزياً أم أرمنياً... (ولا نريد أن نطيل العد مع احترامنا لكل فئات ومذاهب البلد)، يفكر بنفس الطريقة، ويريد أن تنتهي الأيام التي يتحكم فيها حزب الله بقدر البلد، لا فقط بمقدراته وسمعته. وكل لبناني يريد أن يخرج الاحتلال إلى غير رجعة من أية جهة أتى. وكل لبناني يريد المنظمات المسلحة التي تعمل لحساب الغرباء، وتزال الجزر الأمنية التي لا تأوي إلا المجرمين. وكل لبناني يريد أن يفخر بلبنانه، في الداخل والخارج، وأن يعود اسمه لامعاً كما كان، وتعود سمعته سمعة البلد المضيف المنفتح على الكل، والذي، حتى في معمعة الشرق الأوسط وتقلباته، يبقى له الحياد المتزن الذي يعطيه استقراراً، ويجعله ملجأ المضطهدين، وموئل الأحرار، ومركز الفكر المبدع. هذا هو لبناننا يا سعادة السفير وهذا هو ما نفاخر به، أما أن يصبح لبناننا وسفرائه ودولته غطاء للاحتلال، ومدافعاً عن الغي، وسمساراً لإقامة دولة متزمتة على الطريقة الإيرانية، تحجر الفكر، وتحرم الانفتاح، وتسجن النساء، وترجعنا إلى العهود الحالكة، فتلك هي الجريمة التي على كل اللبنانيين أن يرفضوها، وقد فعلوا، ولو لم تكن سوريا وقواتها المحتلة تريده مفروضاً على اللبنانيين لمصالحها الخاصة التي ليس أقلها أن تخيف اللبنانيين من بعضهم يوم لم يعد لها أن تخيفهم من الفلسطينيين بعد تهجير عرفات وشلته، فإن أبناء طائفته بالذات كانوا قد رفعوا ثقل ظله عنهم منذ زمن. أولاً تعرف وزارة الخارجية، يا سعادة السفير، بأن حركة أمل، التي يتزعمها رئيس المجلس النيابي، تقاوم كل يوم حزب الله، وأن أمل وحزب الله مجتمعين لا يمثلان الشيعة في لبنان، الذين يزرعون كغيرهم تحت نير الاحتلال، فكيف بكل

اللبنانيين؟ وكيف بهم إذا كانوا ينعمون بالحرية ومجال العمل ورفاهية دولة مثل كندا؟ فهل تعتقد يا صاحب السعادة أن هؤلاء يمكن أن يقبلوا بتحكم جماعات الاحتلال بهم وبسمعتهم في بلاد الاغتراب؟ وهل تعتقدون بأن بعض المأجورين الذين يحاولون إرهاب الناس في لبنان وبلاد العرب لهم الحق أن ينقلوا حقدهم وينفثوا سمومهم في أبناء هؤلاء الذين ما هربوا من بلادهم إلا للتخلص من شر وضغط هذه الجماعات وأسيادها.

فيا سعادة السفير، إن صار لكم أن تتعموا بالترقية التي تحملون بها وتغادروا هذه البلاد يجب ألا تجعلوا من مواقفكم الأخيرة سياسة تفخرون بها، بل أقله، وفي عملية فحص ضمير ذاتية يومية، يجب على المؤمن بلبنان أن يقيم الأمور ويعيدها إلى نصابها لكي يبقى عنده حس التقييم والإدراك ولا يعطل هذا الحس، بالشهوات إلى المراكز والسلطة، نعمة الرؤية، وهبة الاتزان، والولاء لبلد وشعب لا يستحق إلا الخير، وقد عانى ولا يزال من تدخل الآخرين وشهواتهم وحروبهم، ودفع من دماء بنييه ما لم يدفعه أي شعب آخر على هذه الأرض، وكل ذلك لأن العالم الذي أعمت عيونه بعض المصالح الضيقة قد تغاضى عن حق شعب لبنان بالعيش الحر الكريم وسلمه للرعاع والحاقدين يتحكمون به ويسرقون منه الأمن والاعتزاز، ويمنعون عنه البجوحة والفخر، وبطبعونه بالشر فلا يعود هيكل الله المحب بل عرش الشيطان الحاقد.

سعادة السفير لم نكن نرغب أبدا أن نخاطب ممثل لبنان بلهجة المحاضر ولكننا نعتب على من يفترض به تمثيل بلد نحن نفخر به أن يصبح ممثلا للحقد ولو لم يكن يؤمن بهكذا تمثيل ولا يتأمل بحاملي لواء هذا الحقد. وإلى الأخوة اللبنانيين جميعا أن يتعظوا من هذه التجربة ويفهموا أن المصالح الخاصة في الأمور العامة لا يجب أن تعطي على مصلحة الوطن، خاصة في الظروف التي لا يزال يمر بها لبنان، وأن وجه لبنان الحقيقي الذي تمثلون هو وجه الانفتاح، وجه الإشراف، وجه التعاطي بذهنية لبنان المحب، لا بذهنية الفئات الحاقدة التي لطخوا بها وجه لبنان ويريدوننا أن ندافع عنها ونتبنى أوساخها .

٢٠٠٣/١/١٨